



إن من يستمع من مواطنات ومواطنين سوريين إلى قادة حزب الله، وهم يبررون مواقفهم الخاطئة صار يشعر بالغضب والإهانة، خاصة أنهم يتحدثون عن سوريا ويتعاملون معها بطريقة لا تليق بجهة تدعى العقلانية والرصانة والمقاومة وتتحدث دوماً عن الحرية والكرامة الإنسانية، لكنها لعيوب جسيمة في عقلانيتها تتجاهل أسباب المشكلة السورية وتركز على نتائجها: على ما أوصل العنف السلطوي السوريين إليه.

مع العلم بأنه لم يكن هناك أي سلاح من أي نوع كان في يد الشعب طيلة الأشهر الستة الأولى من الحراك السلمي، باعتراف بشار الأسد نفسه، وأن السبب الحقيقي لكل ما جرى كمن في الطريقة التي اختارها النظام لمعالجة مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، لم تصلح يوماً وفي أي مكان لمعالجة مشكلات بهذه: ألا وهي العنف الأعمى. وكم أسفت لأن سماحة السيد حسن نصر الله لم يشعر في حديثه الأخير بأي حرج تجاه شعبي لبنان وسوريا، عندما قال: إنه لن يسمح بسقوط سوريا، أي نظام الأسد، وتعامى عن واقعة جلية هي أن القسم الأكبر من شعب بلادنا لا يريد نظامه ويضحى حتى الموت كي يتخلص منه.

وعندما علل السيد موقفه باعتبارات لا يقبلها السوريون، وربط مصيره بمصير نظام أحمق ينتحر في كل مكان من وطنه وينحر شعبه، مع أن حزب الله ليس بحاجة لأن يضع نفسه في هذه المعادلة المميتة، أفله لكونه جهة مقبولة نسبياً من قسم لا يأس به من اللبنانيين، وغير مهددة من أحد داخل لبنان.

وكان الأستاذ محمد رعد قد أستبق خطاب السيد بالقول: إن سوريا لن تهزم ما دام هناك مقاومة في لبنان وسوريا. بما أن السيد لم يتحدث عن بلادنا إلا بوصفها سوريا الأسد: أي الوطن والشعب الملحقين بشخص حافظ الأسد ثم بشخص ابنه بشار، فإن سوريا هذه، التي لا وجود لها إلا في خطاب حزب الله وسدينه التلفيق الرسمي في دمشق، ليست سوريا المطالبة بالحرية: سوريا الشعب والوطن والدولة، وهي لا تعود أن تكون في خطاب الحزب أشبه بمزرعة يملكها مغامر استولى على السلطة بانقلاب عنيف وغير شرعي عام 1970.

وحين توفاه الله أورثها عام 2000 لابنه، الذي لم يحصل على أي خبرات تؤهله لتولي الرئاسة، وكان من المحال أن يصل إليها لو لم يكن ابن صاحب المزرعة الأصلي، الذي عينه رئيساً قبل وفاته، كي يتجنب السلطة صراعات كانت ستتشعب على الأرجح بين الأطراف والمراكز الممسكة بأعنتها، فجيء به على أقل أن يوحد صفوفها، وهو هو يقضي عليها بـ«خبراته» الواسعة والمتطرفة في إدارة الأزمات، التي حولت مطالب شعبية قال هو نفسه عنها إنها مشروعة وسلمية إلى حرب ضروس شنها ضد شعبه بعد أول خطاب ألقاه، بينما كانت قطاعات واسعة من الناس تحضنه ثقتها بل وتهتف باسمه في شوارع درعا وتناديه تخلصها من الفساد والفاشيين، لكنه تبين أنه قرر تخليص سوريا من شعبها للحفاظ على سلطة هؤلاء، وهو هو يخوض غمار حرب خاسرة هدفها الوحيد والمعلن إنقاذ كرسيه وبطانته الفاسدة، التي تضم أساساً أقاربه وشركاءهم من حملة نظame وحماته.

يتحدث السيد ومحمد رعد عن النظام باعتباره سوريا، متجاهلاً ما ارتكبه من مجازر ضدها.

ويعد مع سماحة السيد أن لا تسمح «المقاومة» بهزيمته، في علامة إضافية على ما وصل إليه الأسد من ضعف يستدعي ليس فقط انخراط الحزب في الحرب دفاعاً عنه، وإنما كذلك رفع معنوياته بالقوة والسلاح، بعد أن غالياً تحتاج إلى حماية إيران وحزبيها، الذي يقوده أشخاص من طراز محمد رعد، أقل ما يقال فيهم إنهم يفتقرن إلى حس العدالة، رغم أنهم يتحدثون منذ نيف وأربعة عشر قرناً عن مظلومية الحسين ويبرون سياساتهم الحالية بها.

لو كان هؤلاء عادلين حقاً، لكانوا رأوا ما يجري في سوريا تحت أعينهم من استخدام إجرامي للسلاح الكيماوي والطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ الباليستية وبراميل المتفجرات ضد مدنيين عزل تنتشل أشلاؤهم وجثامين أطفالهم من تحت الأنقاض، ولتوقفوا طويلاً عن معنى إلقاء براميل متفجرة يوم الاثنين الفائت قرب سد الفرات، ولأربعتهم الغارات على الآمنين، والفضاعات ضد الأطفال والنساء والشيوخ.

لكن الحيط - كما يسميه الأستاذ وليد جنبلاط - يتوجه أن ما ي قوله سيلقي القبول، لمجرد أنه يصدر عنه كممثل ينطق باسم حزب الله، ولو كان واقعياً لأدرك أن حزبه، الذي نذر نفسه منذ سبعة أعوام للحرب على اللبنانيين وينخرط اليوم في حرب ضد السوريين، فقد حظوه لدى الناس، وأن اسمه في الشارع السوري صار حزب الشيطان أو اللات، ورموزه صارت عرضة لإهانات وشتائم لا أرض لها، وأن السوري العادي يرى فيهم اليوم طواغيت وظلمة يشاركون في قتل دونما سبب، لا يتورع جندهم عن استخدام السكاكين في ذبح أطفاله ونسائه، مثلما حدث في جديدة الفضل، حيث قتل قرابة خمسين إنسان ذبح معظمهم من الوريد إلى الوريد، في عملية تفوق أضعافاً مضاعفة ما ارتكبه الصهاينة من مذابح في قبية وكفر قاسم ودير ياسين خلال حربهم ضد شعب فلسطين.

ليس في سوريا من يشعر اليوم بالاحترام حيال حزب الله، الذي كانت غالبية البشر تكنه له.

إذا كان الحزب لا يحسب حساباً لشعب سوريا ولموقفه منه، فهذا معناه أنه دخل في مرحلة حدها أن يكون قاتلاً أو مقتولاً، تمثل أخطر ما يمكن لحزب أن يورط نفسه فيه، قبل أن يموت معنوياً ويختلاشى مادياً!

